بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثير الألطاف، ومكون الدر تحتويه الأصداف، ومحصى عددها فى البحار مع اختلاف الأصناف، وجعلها من أحسن حلية للأنام، وسيّر الجوارى المنشئات فى البحر كالأعلام لاكتساب ثمرات معادن البحر الحسان، وفقًا لقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٢)﴾ [الرحمن] فلا يعزب عن علمه القديم حوادث الأعصار، ولا ما اعتنى بجمعه أهل المعرفة بالأخبار، المنزه عن الكيف والأين، الجاعل برزخًا بين ملتقى البحرين، ميز بينهما وأحصى عدد الأمواج هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله صدور العرفان وعلى أصحابه ورواة الآثار فى العصور الخوال، وما جلبت الدرارى من جزيرة أوال، وما اقترنت الزهرة بالمريخ، وما شرع أخبارى فى فن التاريخ. أما بعد، ،

فيقول العبد الفقير إلى لطف ربه الحنان، محمد ابن العلامة الفاضل الشيخ حليمة بن محمد بن موسى آل نبهان، ثم الطائى نسبًا، المكى مولدًا ومنشأ، المالكى مذهبًا.

إنه قد يسّر الله لى فى سياحتى الوصول إلى جزيرة أوال فى غرة عام (١٣٣٢) وحصل لى الامتزاج بحكامها أولى الفضل والمجد الرفيعين فطلب منى بض فضلائهم أن أجعل تاريخًا يحتوى على ذكر حكامها الحاليين

الطبعة الأولى
2012 - 1433هـ
حقوق الطبع محفوظة للناشر
مكتبة الثقافة الدينية
526 شارع بور سعيد - القاهرة
25936277 / 25938411-25922620 فاكس:
Email: alsalafalmasry@hotmail.com
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

النبهانى، محمد بن خليفة بن محمد بن موسى، 1950-000
التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية / تأليف: محمد خليفة بن محمد بن موسى النبهانى الطائى
ط1- القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، 2012
258 ص؛ 24 سم
تدمك: 978-977-341-565-9
1- شبة الجزيرة العربية - تاريخ
أ- العنوان
ديوى: 953,1

رقم الايداع: 2012/10679

وملوكها الأقدمين. ومن استولى عليها فى تقادم السنين، ولنذكر فيه من ذُكر فيها أو وصل إليها من الصحابة والتابعين، ونحرر ما وقع فيها من الملاحم والمعارك زمن المشايخ الخليفيين، ونرشحه بذكر بعض حروب المتقدمين، ونطرزه بتعريف أنساب من بالبحرين من العرب الموجودين، ونستطرد فيه بتوضيح من ذكر استطراداً من الدول والأمراء الماضين، ونحليه بنبذ من تاريخ أراء زيرة العرب (كآل رشيد وآل سعود وآل صباح) ومن ضاهاهم.

فأجبتهم لذلك بعد التكرار والالتماس راجيًآ من الله العون والتوفيق وسميته (النبذة اللطيفة فى الحكام من آل خليفة) وتم تبييضه فى (١٢ ربيع أول عام ١٣٣٢) فتوجهت به نحو العراق لأطبعه به. فأرست باخرتنا فى ميناء البصرة فى أواخر شعبان، ثم ركبت الباخرة (حميدية) النهرية فأرست بمرفأ بغداد (فى ٢ رمضان) المبارك من العام المذكور فقابلنى بها بصدر رحيب صديقى الأعز الأديب (أحمد جودت بك ابن على كاظم بك) الموصلى صاحب جريدة (المنير) الغراء البصرية. فبعد الاستقرار اقترح علىّ بأن أجعل هذا التاريخ عامًا لجزيرة العرب كلها بقدر المجهود، وأن أحلى جيده برسم الحكام والسلاطين، فأجبته لذلك مستعينًا بالله على إتمام هذا المشروع فأبدلت اسمه الأول، وسميت الكتاب كله (التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية) ولضيق الوقت عجلت بطبع القسم المختص بالبحرين بخطبة عصرية.

ولما شبت نار الحرب العظمى عجلت العودة إلى البصرة قبل إتمام طبع القسم المذكور. فلما وصلت البصرة وجدت الحكومة العثمانية قد أمرت بسد وجه (الفاو) مدخل البصرة من جهة البحر (فى ١٠ ذى الحجة) من العام المذكور ولم يمكننى مبارحتها إلى البحرين حتى سقطت البصرة فى غرة محرم

سنة (١٣٣٣) وفى ٢٧ ربيع ثانى أخـذت أسـيرًا وسلبت منى جـمـيع كتـبى ومؤلفاتى وفى ضمنها مسودة التاريخ المذكور.

فبلغ حاكم البحرين سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة ما جرى علىّ من المضايقـات فتذاكر مع رئيس الخليج فى شـأنى. فبعد (١٣) شـهرًا بزغت علىّ بشائِ السرور (فى جماد أولـى عام ١٣٣٤) بورود خط من الشيخ عيسى إلى حاكم البصرة يسـتشفعه فى إطلاق سراحى لما بيننا مـن العلاقة. وبالفعل بلغتنى دائـرة الشرطة ورود التشـفع وأُحضرتُ أمـام رئيسهـا وتلى علىّ خط حاكم البـحرين سمـو الشيخ عيـسى، لا زال لطفه شامـلاً، وفضله هاطلاً، فبـقيت فى البصـرة مطلوق السراح تحت المراقـبة السرية إلى أول الهـدنة عام (١٣٣٧) حيث أخذت تمام حريتى.

فمن أجل ذا لم أتمكن من جمع التاريخ مرة ثانية على حسب ما يرام لما نابنى من مصـائب الدهر وعوارض الأيام، وإنما لكثرة طلب الأصـحاب منى الجمع له مرة ثانية تناولت منه بهمـة دون الهمة الأولى. ومع ذلك فأرجو الله أن يحسن الأحوال، ويروق الخـاطر والبال، فنطبعه إن شـاء الله مكملاً على أحسن ما يرام، ولكن لما نفدت الطبعـة الأولى لعكوف القراء عليها ألحّ علىّ الأدباء بطبـعه مرة ثـانية[١]، فرتبـته على نسق غيـر النسق الأول مع زيادات مفـيدة ورسـوم عديدة. وأرجو من الـقراء الكرام أن يرشدونى عـلى مواضع الخلل لأستدركـه إن شاء الله فى الطبعة الثالثة، عند إتمام جـميع تاريخ جزيرة

(١) ولكثرة رواجه قد ترجـمت الطبعة الأولى باللغة الإنجليزية والذى ترجمهـا (السيد حسن صديق) رئيس الشرطة فى البحـرين سابقًا بأمر من الحكومة البريطانيـة وأعطته فى مقابلة ذلك مكافأة عظيمة.

العرب، وألتمس من أهلها أن يقدموا لـى رسوم حكامهم وأمرائهم الحاضرين والغابرين، وأن يمدونى بإسعافاتهم لتحصل للجميع الفائدة المنشودة، وعنواننا هو (باسمنا إلى البـصرة فى محلـة القبلة) وأرجو أن لا تثـبط همة الأدباء إذا طالت المدة فإننى إن شـاء الله الرحمن الرحيم مـا دمت فى قيد الحيـاة أجدد طبعه إن شاء الله تعالى عندما انحصل على فائدة جديدة.

* * *

صورة الخطبة المدرجة فى الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم ونستعينك على صدق الرواية وحسن الإبانة، ونصلى ونسلم على رسولك البشير النذير سيدنا محمد وعلى كافة الأنبياء والمرسلين وعلى الصحابة والقرابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، ، ،

فلو لم يكن فى التاريخ من الفوائد إلا أنه محل العبرة ومقياس السياسة لاستحق الدرجة القصوى من البحث والاهتمام، ولقد نصوا على أن تاريخ الأمة هو الدعامة الأولى التى يبنى عليها رقيها ومجدها. ويحسب محافظتها عليه والاعتبار بوقائعه والادكار بمذاكرته ننال ما تستحقه من عز أو انحطاط، ولما كان تاريخ أغلب إمارات جزيرة العرب ولا سيما (البحرين) قد يقى مجهولاً حتى من أهلها أنفسهم، وكنت قد طفت أغلب تلك البقاع وتشرفت بمعرفة أمرائها الفخام وسكانها الكرام. وصرت كأحد أبنائها أنفت من أن تبقى عقود حوادثها عاطلة من محاسن الترصيف والتدوين.

وصممت على نشر مجمل تاريخها القديم ومفصل تاريخها الحديث، غير أن عدم وجود المؤرخين والتواريخ فيها كاد أن يجعل مطلبنا مستحيلاً، لولا أن الرغبة التى حدت بنا كانت قد تأصلت وأخذت نصيبها من العزم والاهتمام، فنهضنا نبحث فى القماطر، ونستنطق مبعثر الأوراق والدفاتر،

ونستقرى صحيح الروايات، وأوثق الروات، حتى أحطنا بجل الوقائع وأغلب الحوادث. وكان من جملة الوثائق التى رجعنا إليـها وأخذنا عنها سجلات دار الإمارة المخـزونة فى دار الأسفار. وإن أنس لا أنس ما تفـضل به رب السيف والقلم سمو العلامة الشيخ إبراهيم بن محـمد آل خليفة، وحضره بدر العلماء وفخـر التجار فـضية الشـيخ عبـد الله بن سعد بن شـملان[١] من المساعدة والإرشاد، حيث أوقانى على جملة صـالحة من الحوادث وأمدانى بعدة وثائق تاريخية مهمة، فحق علينا شكرهما وإذاعة فضلهما.

هذا وقد اتخـذنا من دراسة أحـوال البلاد والوقـوف على شئـون أهلها وعوائدهم وما يمكن ومـا يستحيل بالنسبـة لهم، مقياسًا نسبـر به غور الوقائع ونميز به الجيد مـن الردىء والصحيح من السقيم. فجـاء ولله الحمد على قدر الطاقة سليـمًا من علل التـحريف خاليًـا من شوائب الضعف والمبـالغة. ومع ذلك فإننا نَرْبَأ بأنفسنا من ادعا العصمة من الزلل والخطأ، وجُلُّ ما نرجوه من أفاضل الكتـاب الغيـورين، أن يمدونا بآرائهم ويرشدونا إلى مـواطن الضعف والخلل، لنستدركه فى الـطبعة الثانية التى عزمنا مسـتعينين بالله على أن تكون أغزر مادة وأكثر تفصيلا، والله المسئول أن يوفقنا لإتمام مشروعنا وهو بالإجابة جدير. . . آمين

محمد خليفة

النبهانى

(١) قد توفى ابن شملان فى ١٥ ربيع ثانى عام ١٣٣٦هـ اهـ مؤلف.

أتحط قـــدرى الحـادثات وهمـــتى من دونـهـــا المريـخ والجـــوزاءُ
صـبـرًا على كـيـد الزمـان فـإنما يبـدو الصـبـاح وتنجلى الظلمـاءُ
أنا والمعـــالى عـــاشـقـــان وطالما وعـد الحـبـيب فـعـاقـه الرقـبـاءُ
لو كـانت الأقـدار يومًا سـاعـدت مـثلـى لخـافت سطوتى الخـلفـاءُ
وأتى الزمـان مـسـالمًا فـصـروفـه وبنوه عنـدى والعـبـيـد ســواءُ

المؤلف الشيخ محمد ابن العلامة الشيخ خليفة النبهانى

وأحمد جودت بيك بن على كاظم بيك صاحب جريدة المنير الغراء البصرية

أخذ رسمها بالبصرة سنة ١٣٣١

الحالة الطبيعية

الموقع والحدود:

البحرين: اسم أطلقه العرب القدماء على مجموع البلاد الواقعة على ريف خليج البصرة الممتد منها إلى حدود عمان. وكانت قصبتها مدينة (هجر) أى الإحساء، ثم خص بالبلاد الواقعة على الخليج المذكور وبين الدرجة (٢٥ و٢٩) من العرض الشمالى وعلى هذا فيكون طرفاها قطر والكويت، فيدخل فى ضمنها شبه الجزيرة الكبيرة التى هى قطر مع الجزائر التى تقرب منها، ومن ثم دعوا البحرين الحالية (جزيرة البحرين) إضافة للبلاد المذكورة، ثم تنوسى الاصطلاحان واختص اسم البحرين بالجزيرة المسماة به الآن.

وكانت قديمًا تسمى (أوالا) باسم صنم أبناء وائل[١] لأنهم كانوا يسكنونها مع عبد القيس وقد نالت البحرين قديمًا وحديثًا شهرة عظيمة لا سيما لؤلؤها المعروف بالحسن والجودة، فيقصده التجار من الآفاق.

والبحرين هى على مسافة (١٢) ميلا من بر ظهران[٢]، وفى الدرجة (٢٦) و(٣٠) دقيقة من العرض الشمالى. و(١٠) درجات و(٣٧) دقيقة من

---

(١) قال فى معجم البلدان (أوال) بالضم ويروى بالفتح جزيرة يحيط بها البحر بناحية البحرين فيها نخل كثير وليمون وعنب وبساتين وقال تميم بن أبى مقبل:

عمد الحداة بها لعارض قرية فكأنها سفن بسيف أوال

اهـ مؤلف.

(٢) ظهران كسحبان، ساحل الحسا، وكانت قصبته قديمًا مشهورة بصنع الثياب الظهرانية المنسوبة إليها. اهـ مؤلف.

الطول الشرقى باعتبار المبدأ مكة المشرفة[١]، وتدوير مساحتها مع جزيرة المحرق نحو (٨٠) ميلا، ومساحة طول جزيرة المنامة شمالاً وجنوبًا (٢٥) ميلا وعرضها نحو (٩) أميال وطول جزيرة المحرق نحو (٥) أميال وعرضها نحو ميلين[٢].

وكلاهما مستويا الأطراف وفى وسطهما بعض مرتفعات لا سيما أرض المنامة إلى الرفاع. فالصَّخير، فجوٍ، وتحيط بالكل أرصفة رملية ينحصر عنها الماء تمامًا وقت الجزر.

الجو:

جوها شديد الحرارة يكاد يكون محرقًا زمن الصيف. فلذا يضطرون إلى مبارحة لمدن زمن الصيف والنزول قرب ماء العيون العذبة التى عند سواحل البحر.

حاصلاتها:

حاصلات البحرين اللؤلؤ، وجل شغلهم ومعاشهم هو الغوص فى البحر لإخراج اللؤلؤ منه. ويبتدئ زمن إخراجه فى الربيع من أول برج الثور

---

(١) قبلة أهل البحرين مغيب التير. اهـ مؤلف.

(٢) وقد نظم مقادير المساحات ابن الحاجب المتوفى سنة (٦٤٦) فقال:

إن البريد من الفراسخ أربع ... ولفرسخ فثلاث أميال ضعوا
والميل ألف أى من الباعات قل ... والباع أربع أذرع فتتبعوا
ثم الذراع من الأصابع أربع ... من بعدها العشرون ثم الأصبع
ست شعيرات فظهر شعيرة ... منها إلى بطنٍ لأخرى توضع
ثم الشعيرة ست شعرات فقط ... من ذيل بغلٍ ليس عن ذا يرجع

اهـ مؤلف.

إلى نصف برج الميـزان. وقد أجمع الجـوهريون على أن لؤلؤ البحـرين يفوق سائر اللآلئ بهـجة ونفـاسة. وقد قـدر ثمن ما يخرج منهـا سنويًا من اللؤلؤ بقيمة (٣٠) ألف ألف روبية، وهذا جدول ذكرنا فيه قيمة ما يخرج من غيرها سنويًا لتعرف الفرق بين الجميع:

ألف عدد	مليون عدد	
٠٠	٣٠	البحرين
٠٠	١١	قطر
٠٠	٠٤	القطيف
٦٠٠	٠٠	الجبيل موضع بين القطيف والكويت
٠٠	٠٨	الكويت
٠٠	١٥	عمان جميعه
٠٠	٠١	بلدة لنجة
٤٠٠	٠٠	جزية قيس
٠٠	٧٠	الجميع سبعون مليونًا

وهذا التقـدير بالحالة الوسطـى وقد يزيد وينقص حـسب الأطوار، وقد أحس بعض العارفـين بوقوع تناقص فى اللؤلؤ، وعلل ذلك بإرسـال الصدف بعد فلقه إلى أوروبا؛ لأنه قد يلاصق الصدفـة الواحدة مائة من صغارها، فإذا ألقـيت الصدفـة بعد فلقـها فى الـبحـر نَمَت الصغـار وعاشت وانفـصلت،

وبالعكس ينتج قلة المحصول؛ لأنهم إذا نقلوا الكبـار وأماتوا الصغار فمن أين يحصل النتاج.

ويوجد فى أماكن مغاصات اللؤلؤ (شـجر اليسر الأسود) ولكن لم يكن لهم به اعتناء، على أنهم لـو بذلوا هممهم فى إخراجـه وتسفيره إلى الحـجاز (لتصنع منه السبح) لزادت محصولاتهم واتسعت معيشتهم.

* * *

فصل
فى صفة
الغوص للؤلؤ

أوردت صفة الغوص وإن كـانت معلومة، لأنى اطلعت على رحلة ابن بطوطة فرأيتـه وصف مغاص الجواهر بخـلاف ما هو مشاهد اليـوم (والكمال لله).

تنبيه:

ذكرنا الأسماء بحسب ما اصطلح عليها أرباب الصناعة منهم، فقول أن سفنهم اليوم نوعـان (سنبوق، وجالبوت) وكان فى السابق لهم سـفن متنوعة يسمـونها (بغلة، بِتِّـيل، بوم، بقَّارة) وهذه قَلَّ اسـتعـمالها اليـوم. واكتـفوا بالنوعين المذكورين ويعبرون عن مجموع السفن (بالخشب) وعددها يتراوح بين (٣ و٤ آلاف سفـينة)، ويعـبرون عن ابتـداء الغص (بالرَّكْبَـة) وعن الانتـهاء (بالقُفّال) ويسمون اللؤلؤ (قماشا) والجواهر (دانات) فإذا مضى برج من فصل الربيع يخرجون فى سفنهم إلى البحر كل سفينة بحسب ما تسع من الغائصين تحت رياسة (النوخـذة) ويسمون الغائص (غَـيصًا) والذى يجر حبـال الغائص (سيبًا) والمساعد لهما (رظـيفا) والذى يكون أصغر من الرظيف يسمى (تَبّابا). وتخرج جميع لسفن إلى البحر فى مواضع مخـتلفة العمق ولها أسماء معروفة بينهم بعـدها عن البر نحو (٣٠) مـيلا وعـمق المغاصات يـتراوح بين (٣ إلى ١٤) باعا. وأمـا مغاصـات بحر عمان فـيبلغ عمـقها نحـو ٢٠ باعًا، ولكن الغائصين بها قليلون لمشقة عمق البحر.

وأما هيئة الغوص:

فهو أن الشخص ينزل من السفينة فيقف على وجه البحر طافيًا على الماء إلى أن يجعل فى أنفه شيئًا مثل الملقاط يسمونه (فطامًا) وهو مصنوع من قرون

الوعل أو من «لذبل» أى عظم السلحفاة ليمنع التنفس ما دام غائصًا فإذا خرج من البحر جذبه من أنفه بسرعة وتنفس. وعند نزوله إلى قعر البحر يجعل فى إحدى رجليه رصاصة أو حجرًا وزنه من «١٢ إلى ١٤» رطلاً حسب مطلوب الغائص لتسرع به فى النزول إلى قعر البحر، فإذا وصل نزعها من رجله فيسحبها «السَّيب» الذى فى فى السفينة لأن بها حبلاً متصلاً بالسفينة يسمى «زَيْبَلا» وتعلق الرصاصة بطرف السفينة فى المقداف.

ويصحب الغائص معه زنبيلاً معمولاً من حبال الكنبار مشبكًا على صفة الغربال إلا أن خروقه واسعة جدًا يسمونه «ديينًا» وبه عروة يجعلها الغائص فى عنقه تسمى (علْقة) ومربوط بها حبل يسمى (جِداء) متصلاً ذلك الحبل بالسفينة فيصير مجموع الحبلين فى يد السَّيْب ويجعل الغائص فى الغالب فى أصابع يده جلدًا يسمى (خَبطا) فيقتلع من الأرض الصدف فيجعله فى (الدّيين) ويمشى على يديه فى قعر البحر ورجلاه مرفوعتان إلى العلو بطبيعة الماء.

وحبل الديين بين إبهامى رجله فإدا امتلأ الديين صدفًا أو تضايق نفس الغائص جذب الحبل برجله بقوة فيسحبه السيب وهو ماسك فى حبل الديين (وإذا جذب الغائص الحبل برجله وهو فى البحر قالوا نَبرَ) فإذا ارتفع على وجه الماء أخرج الفِطام من أنفه وتنفس بمقدار ما يأخذ السيب الديين ويفرغه فى وسط السفينة، ثم يعطيه إياه فيمسكه الغائص بإحدى رجليه ويجعل فى الأخرى حلقة الرصاصة ويجعل الفطام فى أنفه ويضع كفيه على وجهه، ويفك يده من السفينة فتسير به الرصاصة إلى قعر البحر. ويستقيم الغائص تحت الماء إلى نحو عشر دقائق. وما قيل من أنه يستقيم نحو ساعة فلا صحة

له: ويسمون المرة الواحدة من النزول إلى البحـر والصعود منه (تَبَّة) وأيضًا إذا وصل الغائص قعر البحر فتح عينيه ليلتقط الصدف ويعرف ربعه ويتكلمون مع بعضـهم فى الماء (بالمغمـغة) وما قـيل من أنهم يجعلون على وجـوههم وقاية سوى ما ذكرناه من الفطام فى الأنف فغـير صحيح. ولا يزالون يغوصون إلى أن يكتفوا أو تغرب الشـمس فإذا اكتفوا قبل الغروب شـرعوا يفلقون الصدف ويسمونه محارًا[1] ويخرجون ما يجـدونه فى الصدف من اللؤلؤ إلى الغروب ثم يستريحون فإذا أصبحوا فلقوا الباقى من الصدف. وبعد الفراغ يشرعون فى الغوص وهكذا إلى أن يخلص زادهم أو مـاؤهم فيأتون البلد ويتـزودون منها بمقدار ما يكفيهم نحو شهر وهكذا إلى أن ينتهى زمن الصيف فيرجعون كلهم فى يوم واحـد يعينه لهم الحـاكم ومن تأخـر يعاقب، فـإن أصابهم فى مـدة الغوص ريح عاصف قلعـوا من أماكن الغوص وتقربوا إلى البـر بين الشعاب فى مواضع يسـمونها (الفَـشْت) إلى أن يهدأ الريح ثم يعودون لمحل فـوصهم ويسمونه (هيرا).

ويجعلون جميع ما يتحـصلون عليه من اللؤلؤ عند النوخذة وهو يتولى بيعه ويأخذ من جميعه الخمس ثم يقـسم الباقى عليهم بعد أن يخرج منه قيمة ما أكلوه من الطعام زمن الغوص. فـيعطى الغايص (٦٠) فى المائة. والسيب (٤٠) فى المائدة. والرظـيف (٢٠) فى المائة. أى أن كل وظيـفـين يعـد عن سيب واحد. وأما التباب فليس له شىء سوى فائدة التمرين على الغوص وما أكله فى بطنه فقط.

(١) المحار فى اللغـة اسم للحيوان الذى بي الصدفـتين فكأنهم جعلوه من باب تسمـية المحل باسم الحال اهـ. مؤلف.

تتمة للغوص

وهو أن أهل البحرين إذا أقبل فصل الربيع يظهرون صغارهم إلى ساحل البحر فى عمق ذراع فأكثر ليستلقطوا ما يجدونه من الصدف فى كل يوم ويسمون هذه الهيئة (المجنَّى) فإن أبحروا وغابوا عن أهلهم بالسفن نحو يومين يسمونها (العَزَاب) لعزوبهم عن البلدة أى بعدهم عنها. فإن استعدوا بسفنهم وأبحروا بها على صفة الغوص وغابوا نحو أسبوعين يسمونها (خانجيه).

فإذا مضى شطر من برج الثور تهيئوا للغوص العام وخرجوا فى اليوم الذى يعينه لهم الحاكم؟

فإن أحب أحد أن يجعل ما يخرجه من الصدف على حدة ثم يبيعه بنفسه ويعطى من ثمنه الخمس للنوخذة وقيمة الزاد الذى أكله فيسمونه (عزّالا). فإذا دخل برج الميزان ينتهى الغوص العام فيأتون جميعًا إلى البلدة ويبيع النوخذة ما عندهم من اللؤلؤ ويتحاسبون مع (الجزوى) أى مع أهل هيأة الغائصين.

ثم يوجد منهم بعض أفراد يرجعون إلى الغوص مرة ثانية اختياريًا ويكابدون مشقة البرد نحو شهر فيسمونهم (ردّاده). ويوجد أيضًا بعض أفراد من تجار العرب يخرجون بسفنهم إلى أماكن الغوص فيشترون من النواخذة بعض الجواهر بالنقود وربما أعطوهم بدل القيمة تمرًا أو رزًا وهو أحسن للنوخذة من مشقة الذهاب إلى البلدة للتزود منها فيضيع عليه الوقت نحو أسبوع فهؤلاء التجار يقال لهم (طواويش) وهم يجمعون اللؤلؤ ويبوبونه ثم يبيعونه على بعضهم بعضًا فينحصر فى أفراد قليلين فيسافرون به إلى الهند

ليـبيـعـونه هناك* ويوجد أيضًـا قـسم من (الطواويش) على سـواحل البلدة يستقبلون كل سفينة تقدم إلى البلدة للتزود فيشترون منها ما يريدون ثم يبيعونه فى البلدة على بعض الأوربيين أو على البـونيان إلى البحرين خصيـصًا لشراء اللؤلؤ.

* * *

فصل ومن جوائح البحر على أهل الغوص غير السمك الحيوان المسمى عندهم «بالدول»

«الدول» هو حيوان هلامى لا يهتدى فى سيره لجهة معينة وإنما تقذفه الأمواج وهو طاف على وجهها. وحجم معظمه قدر الكف كروى الشكل فى الجملة وله خيوط طوال نحو ذراع فأطول فكأنه كتلة حرير أبيض. فإذا لامس جزء من هذا الحيوان جسم بنى آدم أحرقه حرقًا مبرحًا. وربما أعاب العضو الذى لامسه.

فلو رفع هذا الحيوان بنحو عصاة من البحر وأصابته حرارة الشمس مقدار خمس دقائق لذاب وتحلل ماءً. هو من عجائب المخلوقات. فإذا وجد فى البحر فى بعض السنين يضطر الغائصون إلى لبس (الغلائل) الثياب الضيقة أثناء الغوص اتقاء لشره.

ويوجد أيضًا حيوان آخر يسمونه (اللويثى) بالتصغير وهو مثل «الدول» هلامى لكنه أحمر اللون وضرره أخف من الأول فإذا لامس الجسم أحرقه بدون تبريح ويورم اللحم كأثر ضرب السياط. ويبقى أثره وألمه ساعتين فإذا سخن الجسم الملذوع على النار زال ألمه.

ولقد سلط الله النوعين (الدول واللويثى) حيوانين يأكلانهما. يقال لأحدهما (فغلول) وهو حيوان مثلهما فى الخلق ولكن ليس له خيوط وإنما له أصابع غلاظ مجتمعة فى وسطه أشبه شىء بأصابع كف الإنسان حجمًا وطولا وفى وسط الكف فمه. وهو مدور الشكل وقطره نحو شبر:

والحيوان الآخر يسمى (قليان) وهو حيوان مستطيل الشكل مثل القلم وطوله نحو شبر:

وفى المثل المغـربى (لكل آفـة آفة. حـتى الرمل خلق اللـه له السوافـه) والسوافـه اسم قبيلة فى بادية المغـرب أرضهم رملية ولهم صبـر وجلادة على مكافحة الرمل المتهايل على بساتينهم من شدة الذارى.

* * *

فصل
فى تعريف
الصدف

أما الصدف فمعروف لا يحتاج إلى وصف. وإنما نريد أن نبث عن ماهيته فيقول أنه ينبت فى أرض البحر الصلبة وله عروق خضر مائلة إلى الزرقة ثابتة بها. ثم يتخلق فى بطنه حيوان له أمعاء يأكل ما والاه من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (المجهرية) ثم يتخلق فى خلال لحمه اللؤلؤ فإن كان متوسطًا فى اللحم كان اللؤلؤ حسنًا وإن لامس أو قارب الصدفة صار رديئًا.

فيصير فى أول الأمر نباتًا. ثم معدنًا جوهريًا. وهو يثمر مرة واحدة فى السنة. فلو تركت الصدفة ولم تقلع ماتت وسوس لؤلؤها مثل ثمرة الموز إذا نضج ولم يجن خرب.

وما قيل من أن الصدف يصعد على وجه البحر فى شهر نيسان فيلتقم المطر ثم يرسب فى البحر فليس له صحة. وإن نقله المؤرخون وتمثلت به الشعراء. فإنهم نقلوه من أفواه من لا خبرة لهم بحقيقة الغوص واللؤلؤ.

وقد درست أحوال الصدفزمنًا طويلاً فوجدته تلقيه الصدفة الكبيرة على وجه قعر البحر مثل صغار (حب الخشخاش) كأنه بيض نمل فى فصل الخريف. ويظهر وجوده فى الشتاء وذلك إذا امتاز قعر البحر بالصغار فتراه كأنه خضخاض أصفر. ثم ينمو شيئًا فشيئًا حتى يصير حجمه قدر حب العدس فيرسب حينئذٍ فى الأرض رسوبًا بينا ويجتمع حفنًا حفنًا فتنبت له عروق خضر مائلة إلى الزراق فيها بريق تضرب فى الأرض الصلبة والذى ما ثبت عروقه يظل يتدحرج بحركة البحر ويتفرق عن بعضه إلى أن يجد أرضًا صلبة. أو أحجارًا بحرية. أو فيما والاه من أسجار البحر. أو فى كبار

الصدف. فيثبت وينمو وننزل الريح فيه فيتكون فى جوف الصدفة حيوان يسمى «محارًا» كتكون الفروج فى جوف البيضة فإذا تمت خلقة المحار وتمكنت عروقه من الثبات فى الأرض انفلق عن صدفتين وجعلت تتغذى بما والاها من الطين أو ما فيه من صغار الحيوانات (حسب عادة الله المطردة فى خلقه من أن كل ذى روح لابد له من قوت يقتاته) ولها أمعاء كأمعاء السمك وإذا سمعت صوتًا أو حركة طبقت صدفتيها عليها. فهى أشبه بالجراد فى كثرة إلقاء بيضها.

وقد رأيت ما ذكرته بعينى من حين كونه بيضًا إلى أن بلغ مقداره المعتاد. ولقد استلقطته بيدى من قعر البحر لاخنبرقوة عروقه فوجدتها بمقدار ما يحمل بها وزن ستة أرطال فأكثر. وعروقها فى غلظ الشعر وطول الأنملة. فهذا هو التحقيق ولا عبرة بما نقله بعض المؤرخين: فإنهم قد قالوا أيضًا أن الأرض على قرن ثور وذلك الثور على ظهر سمكة: وأيضًا فإنهم بالغوا فى وصف عوج بن عنق. وغير ذلك من خرافات العوام أو من أكاذيب الإسرائيليين:

نعم إن قيل أن الماء العذب يحسن اللؤلؤ فهذا مسلم لأن لؤلؤ البحرين لم يفق حسنًا على سواه إلا بكثرة الينابيع التى فى وسط البحر كما سيأتى. ومن أجل ذا صار حسنًا فلو كان سبب الحسن هو المطر فقط لكان لؤلؤ (جزيرة سيلان) أحسن الجواهر وأكبرها لكثرة الأمطار فيها. والحال أن لؤلؤ سيلان وإن كان أبيض حسنًا فهو سريع التغير. بخلاف لؤلؤ العرب فإنه عربى الأصل وما أوتيت من العلم إلا قليلا والله أعلم بالصواب.

عيونها

جزيرة البحرين كثيرة المياه العذبة. ولكثرة ينابيعها البحرية وعيونها البرية كانت فى غاية الخصوبة سوى أن فلاحتها غير متقنة ويوجد فى وسط البحر جملة ينابيع عذبة تفور بقوة. فيغوص عليها المستقون فيلأون منها القرب للسفن ولشرب غالب أهل البلدة وإن من الواقعة على ساحل البحر لما يتدفق ماؤها ويسيل على وجه الأرض. ومنها ما إذا جزر البحر ظهرت فاستقوا منها. وإذا مد البحر علاها بنحو ستة أذرع فيغوصون عليها للاستقاء.

والينابيع البحرية هى الطف مياههم لصيانتها عن الأوساخ التى تقذفها الرياح فى العيون غالبًا. وأيضًا ليس بها دود ولا طيسى (مكروب) وذلك لعدم مكنه بسرعة فورانه وتدفقه.

وعدد الينابيع البحرية المشهورة عندهم بأسماء مخصوصة نحو (٢٥) ينبوعًا غير الصغار المجهولة الاسم ويبعد بعضها عن البر بنحو (٢٥) ميلا فأبعد ويعلوها البحر بنحو خمسة أبواع فأكثر * وعدد التى فى البحر نحو (٢٠٠) عين وذلك غير الصغار. وغلبها يسيح على وجه الأرض ثم يفيض فى البحر. وفى زمن الصيف ينزل غالب الأهالى والحكام على سواحل البحر قرب هذه الأعين الجارية بين النخيل والبساتين. ولكل أناس جهة مخصوصة باسم مختص بها. وارتحالهم إليها من أواسط الربيع إلى أوائل الخريف ويتخذون هناك بيوتًا من جريد النخل موقتة (وبسبب كثرة هذه الينابيع والعيون صار لؤلؤ البحرين فى غاية الحسن كما قدمنا).

وإن عيون البحرين وينابيعها الموجودة اليوم تزيد على معدل (حالة

أرضها الطبيعيـة) بكثير من أن قسمًا من عيونها العظيـمة قد سدت بالصخور العظام. ويقال أن الذى أمر بذلك هو أحد عمال عبد الملك بن مروان الأموى بسبب تمرد أهل البحرين عليه لتوفر مصالحهم وربع أراضيهم.

فأمر بردم مـعظم العيون الكائنة فى الجهـة الغربية مثل عين (سـيجور) وخلافها وقصة ردم هذه العيـون مشهورة عند أهل البلدة. ولكنى لم أقف لها على ذكر فى التـواريخ والذى يظهر لى والله أعلم أن ردمـها لم يكن لتـمرد الأهالى على العـامل حيث أنه يمكنه أن يؤديهم بغـير ذلك. ولأن ردمـها لم يخل بمصالح البلدة عمومًا حتى يقال أنه أراد الانتقام من الكل.

وإنما لما كانت الجهة الغربية منخـفضة وقليلة الزراعة والبساتين والسكان أمر بردمها مـصلحة للأهالى ليرجع نبع مائها إلى العـيون الأخرى (وهذا هو الأقرب للرأى السديد)* وتعد الينابيع البحرية من عجائب القدرة وفى الحقيقة أن البحرين أكثر البقاع مياهًا مع أنها جزيرة.

جزائرها

يوجد غـربى البديع على مسافـة نصف ساعة فى السفن جـزيرة تسمى (جِداء) بالكسر. وهى صغيرة خالية من الماء والعشب وليس بها أحد وإنما بها صخور وجبال ينحت منها عند اللزوم.

وعلى مسافة ساعة من البديع أيضًـا جزيرة أخرى تسمى (نعسانا) وهى أكبر من الأولى. وبها من أنواع الصيد (الظبى والأرنب والحبارى وفيها معدن الجص. وبها عين ماء كبيرة فى السهل. وأخرى منحدرة من سفح جبل هناك تسمى (القطارة) ويسكن هذه الجزيرة أفراد من الجصاصين.

وتذهب إليها الحكام والأمراء زمن الخريف للقنص فيها بالطيور وبالكلاب السلوقية.

الجبال

يوجد فى وسط جزيرة المنامة على مسافة نصف ساعة للراكب من الصخير جهة الجنوب جبل عظيم مستطيل يسمى (جبل الدخان) ارتفاعه نحو (٤٠٠) قدم. وقد ذهبت إليه فى ٢٢ جمادى الأولى عام (١٣٣٢) وفى الثلث الأعلى منه غار عجيب النحت كأنه حجرتان واحدة فى داخل الأخرى وهو متسع وعرضه نحو (٨) أذرع وطوله نحو (٢٥) ذراعًا وارتفاع سقفه نحو (٨) أذرع. وقد دخلته بنفسى صحبة ولى العهد سمو الشيخ حمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة ومعنا الشيخ عبد الله بن يعد بن شملان وجملة من حاشية الحاكم. وفى ذلك الوقت صدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى بتنظيف هذا الغار وإزالة التراب والأوساخ المتراكمة مع مرور الدهور وتوالى السنين.

ووصفه هو أن سقف الحجرة الأولى منحوت قبة واحدة مطوقة وبابها مقابل جهة الشمال. وفى وسط الحجرة من الجهة الغربية باب فى عرض ذراعين وارتفاع قامة يفضى إلى الحجرة الداخلية. وهذه الحجرة الثانية سقفها مشكل من قبتين مطوقتين متلاصقتين، وفى أعلى الجبل من جهة الغرب موضع برج قديم متهدم يظن أنه بنى قبل ظهور الإسلام. ولم يبق منه اليوم سوى أساسه المحكم البناء ووصلته أيضًا فى ذلك اليوم صحبة صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة.

هواؤها

هواء جزيـرة المحرق جاف نقـى معتـدل فى الجملة لـم يوجد بأرضـها وخامة ولم يكن بها وباء لقلة النخيل بهـا ولأن شرب أهلها من ينابيع البحر. وأما هواء جـزيرة المنامة فردىء رطب فيـه بعض الوخامة. وأمـا هواء القسم الجنوبى منها من (الرفاع) فصاعدًا فهو نقى تام الصحة.

الحالة الاقتصادية

الزراعة والنباتات:

جزيرة الـبحرين هى كـثيـرة النخل والأشجـار والثمـار وأجود رطبـها (الخلاص) وأحـسن ثمرها (المرزبان) وكان بـها نحو (٨٠٠) نوع من التـمر. وكان يضرب بها المثـل فى كثرة الرطب والتمر فيقـال (كناقل التمر إلى أوال) وبها الرمان والتين الأبيض والموز والأترج بكثـرة مفرطة. والخوخ. والمشمش والكمـثرى والنبق ويسـمونه (كنارا) ويـقولون (إذا طاح الكنار تسـاوى الليل والنهـار) وهو كذلك لأن إبانه أول برجى الاعـتداليين (الحـمل والميزان) وبـها الحمر ويسمونه (صبارا) وبها الليمون بنوعيه والنارنج والتوت والأنباء والمخيط ويسمونه (بمبرا) وهو يكبر بمقدار الليمون. وبهـا القثا ويسمونها (طرحا) وبها ثمرة يسمـونها (لوزا) وبالفارسية جلـغوزه وعربت قديما (بحلوز) فـحرفوها وقالوا (لوزا) وهى ثمرة تشبه اللوز فى الوضع وقدر الكمثرى فى الحجم وهى نوعان أبيـض وأحمر وأجـودها الأبيض. وفى وسط كل منهمـا نواة مغـشاة بعروق أشبه شىء بـالأنباء. وإذا كسرت تلك النواة وجد فيـها لب أشبه شىء بالفستق لونًا وطعمًا وحجمًا.

والمأكـول من هذه الثـمرة ظاهرها فـقط وهو قليـل الحلاوة مـائل إلى

الحموضة نوعًـا ما. وفيه نوع عفوصية فـيظهر أن طبعه بارد يابس. وإذا أكل تقاطر من الشـدقين ماء خمرى اللون. وهو لـطيف مهضم للطعام وهو كـثير جـدًا بها. وبهـا من الأزهار والفل ويسـمـونه (رازقيـا) واليـاسمـين والآس والريحان وهو الأكثر ويسمونه (مشمومـا) ونساءهم مغرمات بالتزين به تعليقًا على رءوسهن بـكثرة مفـرطة. ويوجد بهـا من المخضرات البـاذنجان بنوعـيه الأسود والأحمر والبامية والرجلة والفجل والكراث. وللبهائم البرسيم.

* * *

الحيوانات

هذه الفرس المسماة (المصنة) وهى من مشاهير خيل العرب وهى ملك
للشيخ حمد بن عيسى آل خليفة

يوجد فى البحرين أصائل الخيل وأشهرها الفرس المسماة (المصنة) وهى من بعض خيال الشيخ حمد بن عيسى ولها شهرة طائرة فى السبق والنجابة.

وبها أيضا نجائل الإبل (العمانية) وحسان الأتن. وغالب ركوب الأهالى على الأتن البيض. ويعلفونها صغار السمك مع التمر. وقد أنتج ذلك ضخامة جسمها ضخامة حسنة. حتى أنهم ليفضلون ركوبها على ركوب الخيل.. ويوجد بها أيضا البقر والضأن والمعز. ومن الصيد الظباء والأرانب والحبارى.

وقد جلب إلى البحرين سمو الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة (الطاووس) سنة (١٣١٨).

ولأهل البحرين وبالأخص حكامها ولع شديد فى القنص بالطيور الحرة. والكلاب السلوقية. فإنهم يعتنون فى تربيتها وتعليمهما غاية الاعتناء وغالب رغبة الحكام والأمراء فى اقتناء الطيور (الحرة) وهى التى تألف البرارى غالبا (الصقر).

وأما التى تألف السواحل فيسمونها (شواهين) وهى أصغر حجمًا من الصقر الحر. وأرخص ثمنا منه. ولكنها تمتاز عن الحر بسرعة السير فى بادئ الطيران. ويمتاز الحر عنها بكثرة صيده حيث أن الحر بما يصيد فى اليوم الواحد عشر حبارات. وله منظر حسن وهيبة ظاهرة كما ستراه على يد المؤلف فى الصورة الآتية ويعيش (الحر) نحو ١٢ سنة بقوته المعتادة وكان عند الحكام الحاليين طير مكث عندهم (١٨) سنة ولكن ضعف بصره من الكبر ويقال أنه يعيش إلى ٢٠.

وأغلب الطيور الحرة تجلب إلى البحرين من أرض فارس غشيمة

فيعلمـونها ويخصصون لكل طير اسـمًا من أسماء مشاهير الـعرب القدماء أو الحاليـين كقـيس وهذال وطلال ونحوهم ومـتى أطلق الطير ثم دعى باسـمه المخصوص لـه عاد ولو كان طائرًا فى أثر صيـد له فإنه يترك الصيـد ولو كان جشعا ويعود لصاحبه ويعلمون الطيور المذكورة بنوعيها صيد الحبارى فقط.

وأما صيد الـظباء والأرانب بها فليبس بمحمود عندهم. ومـوسم الصيد والتنزه بالطيـور زمن الخريف فـإنهم يذهبـون بها إلى براريهم وإلى سـواحل الحساء. وربما سافر كبار أنجـال الحكام مع جملة من حواشيهم إلى (لنجه) من أرض فارس فيقنصون فى براريها نحو شهر. ويصرفون مبالغ طائلة على ذلك ثم يعودون إلى أوطانهم. ويجمعون الطيور الحرة فقط عند أناس مخصوصين يبارونها إلى الموسم الآخر. وترد إلى البـحرين فى كل سنة نحو (٢٠٠) طير من النوعين الصقور والشواهين.

وكذلك فإنهم يعلمون الكلاب السلوقية على صيد الظباء والأرانب وربما دربوا الطير على مؤالفة الكلاب ليتساعدا على الصيد وأن الكلاب لتعدو عدوًا جيدًا حـتى أنى رأيت كلبة عند الشيخ حمد تعـدو مع الخيل يوم الرهان وأنها لتتقدم عند الحلبة أمام جياد الخليل.

المؤلف الشيخ محمد ابن الشيخ خليفة آل نبهان نرى أسلافه وعلى يده (صقر) حر فى حالة القنص بالطيور

المعادن

يوجد فى البحرين معدن الجص والنفظ والفير عند (جبل الدخان) المتقدم ذكره والأخيران غير مستخرجين. وفى البحر اللؤلؤ واليسر كما تقدم.

الصناعة

تنسج عندهم بعض العبى ومن المصنوعات اليدوية والمنطرقات من النحاس والصفر والحديد. وتنسج عندهم المدات (نوع من الحصر) ويسفر منها إلى الخارج مبالغ مهمة وعلى الأخص نحو العراق حيث أن جميع المساجد فى العراق مفروشة منها.

ولهم مهارة تامة فى صنع السفن الشراعية الكبار

صادراتها

يصدر من البحرين اللؤلؤ وهو الأهم. والصدف ثم السلوق (البلح المسلوق) والروبيان والسمك المجفف والترنج والمدات نوع من الحصير

التجارة

غير متقدمة إلا فى اللؤلؤ. وأما تجارتها الداخلية فنظرًا لقلة طرق المواصلات فهى متأخرة. وأما التجارة البحرية ولو أنها غير عظيمة إلا أنها كافية لترويج أشغالهم ونقل بضايعهم

الآثار

- أو الأماكن المأثورة -

قرية عسكرية - هى على مسافة ساعتين ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب. وأول من سكنها من العرب «آل أبى سميط» بالتصغير ثم ظعنوا عنها وسكنوا «لنجه» بلدة بفارس فنزل قريـة عسكر بعض (آل أبى عينين) وهو بها إلى اليوم. وبهذه القرية «ضريح صعصعـة ابن صوحان العبدى» وهو مخضرم قال أبو عمر كان صعصعة مسلمًا فى عهد رسول الله ﷺ ولم يره: قلت وله رواية عن عثمـان وعلى وشهد صفين مع عـلى وكان خطيبًا فصـيحًا وله مع معاوية مـواقف: وقال الشعبى كنـت أتعلم منه الخطب: وروى عنه أيضًا أبو اسحق السبيـعى والمنهال بن عمرو وعبد الله بن بريدة وغـيرهم. وذكر العلاء فى أخبار زياد أن المغيرة نفى صعصـعة بأمر من معاوية من الكوفة إلى جزيرة أوال من البحرين فمات بها وأنشد له المرزبان

هلا سـالت بنى الجـارود أى فـتى عند الشفـاعة والبان ابن صـوحانا

كنا وكـانوا كـأم أرضـعت ولدا عـقا ولم تجـز بالإحسـان إحسـانا

وأما أخوه زيد بن صـوحان فإنه توفى بالكوفة فى وقعـة الجمل بعد أن قطعت يده وهو الذى عناه النبى ﷺ بقوله: وأمـا زيد فرجل من أمتى تدخل الجنة يده قبل بدنه أ هـ. وكـانت على ضريح صعـصعة قبـة ثم تهدمت ولم تعمر.

وفى جنوب ضريح صعصعة قـبر «الشيخ الجوى» وهو من صلحاء قرية جو دفن هناك بوصية منه..

ومشهـور عند أهل البحرين أن من خـصائص قرية عسكر عـدم دخول الطاعون فيـها. ويعدونها كـرامة لصعصـة رضى الله عنه: وفحص عن ذلك فلم يسمع منذ سكنـتها العرب أن أحـدًا مات بها مطعـونًا قط. والله يختص برحمته من يشاء

قرية المالكية

وهى جنوب البديع عـلى مسافـة نصف ساعة منهـا. وبها «قبـر الإمام زيد» ولم أجد أحدًا يعـرف اسم أبيه لنعرف من هو. سوى أن أهـل البحرين وبالأخص أهل تلك القـرية يعظمونه ويتـبركـون به ويقولون إنه صـحابى - فـأقول لعله زيد بن عـميـرة لأنه من أهل البـحرين ومن المخـضرمـين ومن أصحـاب العلاء بن الحضـرمى الذى فتح البـحرين "كمـا سيـأتى فى الباب الأول" وقال فى كتاب الإصابة زيد بن عميرة العـبدى له صحبة قاله أبو عمر ولم يزد ثم قال وأظنه الكندى وروى الحارث بن أبى أسـامة طريق الجارود أنه قرأ فى نسخة عـهد العلاء بن الحضرمى وشهد زيد بن عمـيرة. وأيضا أخرج الحارث بن أسامة من طريق المسور بن عبد الله الباهلى عن بعض ولد الجارود أنه أخذ هذه النسخة من نسخة عند العـلاء ابن الحضرمى حين بعثه النبى ﷺ إلى البحرين وشهد معاوية وعمان والمختار بن قيس وقصى بن أبى عميرة وفى رواية ابن أبى عمرو. وسـعد بن عبادة والضحاك بن أبى عـمرو. وشبيب بن أبى مرثد وفى رواية ابـن قرة والمستنيـر بن أبى صعصـعة الخـزاعى وعوانة أو عبـادة بن الشماخ الجهنى وسـعد بن مالك وسعـد بن معاذ (وزيد بن عمـيرة العبدى) ا هـ قلت فإذا كان العلاء هو الفاتح لهذه الجزيرة وقد استشهد ببعض أهلها وزيد المذكور هو فى ضـمن من استشهد بهم وهو أيضًـا عبدى وسكنى

العبديين البحـرين فيحتمل والله أعلم أن زيد بن عميـرة هو المشهور اليوم فى أفواه أهل البلدة (بالأمير زيد) ويقولون أنه صحابى والله أعلم.

جبل حيان

(أو قرية جبل حيان)

هى شبه جزيرة واقعة فى الجهـة الجنوبية الشرقية عن (عسكر) وتسكنها اليوم قبيلة الدواسر زمن الشتاء وفى وسطها جـبل بأعلاه ضريح مشهور (بقبر حيان) وهو معظم أيضًا عندهم.

فلعله حـيان بن مـازن لأن مازنا صـحابى ومن أهل عـمان ورئيـسهـا ويحتـمل أنه أرسل ابنه حيـانا إلى «جزيرة أوال» عـاملا عليهـا وقصـة مازن مشهورة عندهم. (وهى) أن أول من أسلم من أهل عمان هو مازن بن غضوبة ابن سبيعة بن شمامة بن حيان بن مرة بن حيان بن مرة بن أبى بشر بن حطامة ابن سعد بن نبهان بن عمـرو بن الغوث ابن طى. وكان يسكن (قرية سمايل) ويعبد صنمًا يقـال له (ناجرا) فذبح له شاتًا ذات يوم وقربها إليـه فسمع صوتًا من الصنم يقول

يا مـــازن اســـمع تســـر ظهـــر خـــيـــر وبـطن شـــر

بعـث نبـى من مـــضـــر يديـن بدين الـله أكـــبـــر

فـــدع نحـــتـــا من حـــجـــر تسـلم من حـــر ســـقـــر

ففزع من ذلك وقال أن هذا لعجب ثم قرب قربانًا آخر فسمع صوتًا آخر من الصم يقول:

يـا مـــــازن اقـــــبـل تســـمع مـــالا تجـــهل
هـذا نـبـى مـــــرسـل جـــــاء بحـق مـنـزل
فـــــآمـن به تـعـــــدل عن حـــــر نار تشـــعل
وقـــــودها الـناس والجـندل

فقال إن هذا لهو العجب وإنه لخبر يرادنى فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماء فسأله مـا الخبر وراءك فقال إنه ظهر رجل يقال له محمـد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عـبد مناف يقول لمن أتاه أجب أدعى الله فليس بمستكبر ولا جبـار ولا مختال. أدعوكم إلى الله وترك عبـادة الأوثان الخ. فقال مـازن والله نبوء ما سـمعتـه من الصنم فوثب إلى الصنم فكسره جذاذًا. وتوجه إلى رسول الله ﷺ. فلمـا قدم سأله عما بعث إليه فشرح رسول الله ﷺ له الإسلام فأسلم ونور الله قلبه ثم قال للنبى ﷺ أدع لى ولأهل عمـان فقال الـلهم اهدهم وثبتهم فـقال زدنى وجـعل يعرض مقـاصده من الدنيا تفـصيلا ويطلب الدعـاء من النبى ﷺ إلى أن طلب ولدًا ورزقه بعـد حين وسماه (حـيانا) ثم أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل عـمان كتابًا. الخ كما وضحناه فى تاريخ عـمان. فيظهر لى والله أعلم أن حيانا هذا هو المدفون فى هذا المحل. وقيل أنه ابن محصن.

النبيه صالح

توجد جزيرة بين قرية أم الحصم[١] وبين ستره قرب (الماحوز) فيها قبر يسمونه (قبر النبيه صالح) والعوام يقولون قبر النبى صالح وعند قرب القبر كهف يزعمون أن فصيل ناقة صالح دخل فيه. ولم أطلع على حقيقة صاحب هذا القبر.

المشهد

يوجد غربى المنامة من جهة الجنوب على مسافة نصف ساعة منها موضع يسمى (سوق الخميس) يجتمع فيه أهل البلدة فى كل خميس للبيع والشراء حتى اليوم. وعنده عين نباعة كالزلال تسمى (أبا زيدان) ومبنى على نصف ظهرها مسجد صغير للصلاة. وشمالية على مسافة نحو (١٠٠) ذارع آثار مسجد آخر وفى جانبه أطلال مدرسة قديمة لم يبق منها سوى بعض جدرانها وبعض اصطوانات مدورة منحوتة من صخار عظام ومكتوب على الجدرات نقرأ فى الحجارة بخط كوفى.

وعندها منارتان متقابلتان شرقًا وغربًا طول كل واحدة منهما نحو (٧٠) ذراعا. وتسمى هذه الأطلال (المشهد) فوصلته وصعدت المنارة الغربية وكتبت

(١) أم الحصم موضع على ساحل البحر جنوب المنامة على مسافة ساعة منها وهو نقى الأرض لطيف الهواء زمن الصيف وبه كثير من النخل والفواكه. وبه مقيظ للشيخ عبد الله بن سعد بن شملان. وبه عين نباعة تسقى بساتين تلك لجهة تسمى (هرته) وكانت متهدمة الأطراف فعمرت بهمة الشيخ عبد الله بن شملان المذكور والشيخ محمد بن أحمد بن هجرس سنة (١٣٣٠) وأمر أيضا ببناء حجرة قربها جهة الجنوب الشرقى لتكون حمامًا للنساء يغتسلن فيها. فجزاهما الله خير الجزاء. ورحمهما رحمة الأبرار. ا هـ مؤلف.

اسمى نحتًا فى أعلى حجر فى داخلهـا ووجدت عدد درجها إلى الدائر الثانى مائة درجة وعلى باب المنارة الغربية حجر مكتوب بالخط الكوفى. ولكن عسر على قراءته لأن المدرسـة المتهدمة ردمت بـاب المنارة حتى دفن معظمه فـصار الحجـر عند الأرض وجعل الصـبيان يلعـبون فيـه بالدق حتى تشـامت غالب الكلمـات فعـسـر علينا قراءتـها. ولم يكن مـعى فى ذلك اليـوم آلة الرسم (المخيلة) لآخذ رسمه وأتفحص بعد ذلك فى كتابته.

وهذا المسجد والمدرسة مع المنارتين الجمـيع من أبناء عمر بن عبد العزيز الأموى.

المراقيب

توجد فى شـمال غرب الرفـاع أرض واسعة الـفضاء تسـمى (المراقيب) وفيها آثار قبـور قديمة دارسة كأنها قرى متفرقـة وكل قسم منها يحتوى على نحو (٣٠٠) قبـر فأكثر وقـد نبت فوق هذه الأرض من طول ما لبـثت شجر العوسج والشيخ والقيصوم والجثجاث والجعدة ونحوها من الأعشاب البرية.

فنقول - يكاد أن يكون من المحقق أن ضفاف (خليج البصرة) كانت أول موطن للإنسان فى عهد حـضارته وإن شئت فقل بداوته الأولى. ويرى بعض العـارفين الذين حـاولوا درس طبيـعـة البحـرين أن هذه الجزيرة كـانت على الراجح مهد السلالة البشرية بعد ارتقائها فى سلم الحضارة. حيث أن مجموع المدافن التى تملأ ربواتهـا رحاب الصحـراء وتمتد إلى مـالا يدرك الطرف آخره حيرت من وقف بها من السياح يحاول كنه حقيقتها: ولقد أمها الناس فى كل عصر وزمان وجاسوا خلالها من الأسود الذى ربما كان جد الإنسان المدنى إلى الكلدانى فالبـابلى فالفينيقى فالـيونانى فالفارسى فالعـربى. وتكاد تسمع وقع

أقدامهم على مر الدهور ومع ذلك لم يتـركوا لنا أثرًا يأنم به المستهدون منا أو قبسًا يستضىء به المعتسفون فى دياجير التاريخ. ويقال أن آخر مرة ذكر التاريخ فيـها جزيرة البـحرين هو يوم زارها (نيارخـوس) فى رأس الأسطول اليونانى عملا بأمر مولاه إسكندر الأكبر.

ولم نعلم حتى اليوم حقيقة هذه القبور ولم يتحقق لدينا زمن بنائها ومن هو المؤسس لها. ومن الراقدون بها وعلى أى دين كانوا يتـعبدون به: ويستفاد من أقـوال بعض المؤرخين أن المدفـونين فـيهـا هم من أصل فـينيقى هجـروا أوطانهم وقطعـوا فيـافى بلاد العرب وحلـوا بهذه الربوع وبنوا فى البـر (بلدة الخط) قرب مدينة القطيف الحـديثة. وكانت مدينة عظيمة فيـها أسواق تجارية رائجة تسمى (الجرعاء) التى يظنها البعض أنها نفس مدينة أوفير الشهيرة بكثرة ذهبها والغنية بمعادنها.

فهل اعتـقد سكان الجرعاء أن البحـرين قطعة مقدسة الـتربة حتى نقلوا إليهـا جنائزهم ودفنوها فيهـا (كما يفـعله اليوم الشيعـة فى نقل جنائزهم إلى كربلاء والنجف) أو لأنها قريبة من البحر وهى مركز التجارة وإن تلك المدافن هى قبور أولئك السكان: وأقـيمت تلت المقبرة الغربية قـبل أن يبارحوا الوطن ويتوغلوا فى قلب بلاد العرب. أو قـبل أن يمصر أهل الجزيرة أرض الكلدان وينشئوا فيها مهجرا ويقيموا مستعمرة فهذه المسائل لا يستطيع الإنسان أن يبت فيها رأيه لعدم عهدها وغموض أسرارها. وأن المستر "بنت" فتح بعض القبور وعثر على بضعـة آثار فانتقى منها شيئًا وبعث به إلـى المتحف البريطانى وبعد إمعان لجنة المعـهد فيهـا وتدقيق فحصهـا قر رأيها على أنها من أصل فـينيقى وعليه فتدل هذه الآثار على أن القبـور القديمة جدًا. فإذا سلمنا بتلك الدلائل

واعتبرناها صحيحة فتكون القبور قد بنيت على الأقل منذ نحو خمسة آلاف سنة هذا إذا كان (رولنسن) قد ضبط حسابه فى تاريخ الهجرة إلى البحر المتوسط.

وأن الخط المسمارى قديم جدًا عند سكان بابل وكان للفينيقيين ضرب من الكتابة تشبه الحروف. ولما اكتشفت صناعة الكتابة وأخذ الناس يستعملونها فى التدوين والتسجيل تركت الكتابة المسمارية على أن الباحث مهما نقب فى تلك المدافن لا يعثر على شىء من قبيل الحفر أو النقش على صخورها أو على أحجارها مع أن الفينيقيين عندما ألقوا عصى ترحالهم فى البحر المتوسط أخذوا يقلدون المصريين فى وضع موتاهم فى (نواويس) ولكن الباحثين لم يعثروا على (ناووس) واحد فى تلك المدافن ليتخذوا منه دليلا على تاريخ سالف لزمان الجلاء. وهناك أمر آخر يستحق التدبر والتروى وهو أن أحد الباحثين قال حين اكتشفت البقعة وتدبر ما فيها أن جميع القبور التى فتحت بجنب (رفاع الشيخ على) أى الرفاع القبلى. وهى قبور أعلى ما سائر القبور التى وراءها بنحو (٢٠) قد مًا هى على رأيه أحدث من غيرها. ومما يؤيد ذلك أن هذه القبور قائمة على طرف المقبرة الفسيحة الأرجاء القديمة العهد ويظهر أنها آخر ما شيد وأقيم هناك.. وكتب القائد دوراند ما نصه "أن الآكام العالية هى قريبة على وهى أكبر من غيرها.

وذكر فنيرخوس الذى تولى قيادة أسطول إسكندر الكبير فى سفرته الشهيرة إلى خليج العجم يصف كيف أنه زار مدينة فينيقية فى البر وجزيرة تدعى (ترين) ويظهرانها هى التى تسمى اليوم (دارين) عند العرب وهى فرصة بالبحرين. وقد رأى هناك قبر (ارثرا) الذى كان سلطان الخليج. ووصف

(نيرخوس) المدافن بقوله (رابية مرتفعة كثيرة النخل) فهذا الوصف ينطبق على إحدى تلك الروابى العاليـة بقرب (قرية على) بخلاف سـائر الروابى فإنها لا تنطبق عليها وهى بعيدة عنهـا أميالا عديدة بيد أنه لا يوجد الآن نخل وهو لا شك مات لتقادم عهده.

وهذه الرواية تؤيد أن الآكام الكبيرة بنيت فى العهد الأخير والدليل على ذلك أن اسم الشـخص المدفون فى إحـداها ذكر فى زمن (نيـرخوس) رفـيق إسكندر المكدونى عند ما شاهدها ويظهـر أنه لم يبحث أحد فى هذا الأثر منذ ذلك الحـين حتى قـام الضابط (دورند) الذى رفع أخـيراً إلى درجـة (دوق - أمير) وجعل يبحث فيها:

وصف المدافن

خلاصة ما شهدناه وما قاله الصحافيون. وهو أن كل مدفن يشتمل على حجرتين الواحدة فـوق الأخرى مبنية من قطع صخور ضخمـة ولا يبعد أنها قطعت (من جبل الدخان) ويوجد فيها أيضًا على جوانبها حجر ومعابر مسيعة بطين على غاية الإتقان ولا يوجد بها عقـود ولا دعائم. ويظهر أن الحجر قد بنيت قبل أن يبنى سـائر ما يحيط بها من البناء. وهذا البناء مـحكم مجصص وله طبقات مرصوفة من التراب وصغـار الحجارة وكأن هذه المدافن قد أقيمت لمقاومة الدهر وصد آفاته فمحيط أساس أكبر النلول نحو (٥٠) ذراعًا وقد عثر القائد دورند عـلى هيكل بشرى فى الحجـرة السفلى طوله نحـو تسعـة أقدام صغـير الجمـجمة منخـفض الجبيـن حرف حجـاج العين (المحجـر) وعند ما عرضت الجمجمة للنور والهـواء تكسرت كسرا عديدة. وإن رؤية بعض عظام الهيكل تدل على أن أصحابهـا دفنوا وهم جلوس ويظهر أنهم كانوا من وجوه

الأمة وسـرات القوم وكان دفنهم يجرى عـلى خلاف ما كانت تدفن العـامة. على مثل ما هو جار اليـوم عند النصارى فى دفن (البطاركة والمطارنة والملافنة والأساقفة) وسائر الرؤساء الروحانية منهم غير أن ذلك يحتاج إلى بحث دقيق وفحص كـثير (وسنعود إن شـاء الله إلى البحث فى هذا الموضوع فى الطبـعة الثالثة) وقد اكتشفت حديثًا فى المنعطفات قطع من عظام بنى آدم:

أما الحجر العليا (الفوقانية) فقـد وجد فيها عظام كبيرة من عظام الخيل: وأيضًا وجد فيها قطع من معدن يشبه الصفر والنحاس. وشقف وخزف خشنة غير مصقولة وقشور بيض النعـام وبعض آنية مصنوعة من العاج وتماثيل وغير ذلك من الأدوات المختلفة الأشكال. وفى أرض حجر بعض المدافن شىء كثير من عظام اليربوع. ومـقدار وافر من العظام الصفر قـد دفنت هناك منذ قرون عديدة (ويفهم أنها نقلت تلك العظام من محل آخر إلى هذه المقابر):

وقد نقبت أغلب تلك الحجر تنقيبًـا دقيقًا فى العثور على آثار ذات شأن جليل ولكن جل ما وجد فيها هو بقايا سجف وستور قد تحولت إلى كوم من التراب لطول عهدها. وهناك أيضًا قطع أخشاب مسوسة. أما البناء فهائل جدًا وجرمه عظيم لكن يعثر على الأدوات التى كـانت تتخذ فى الحفر والبناء. بل ولم يعثر على رسوم أو نقوش أو كتابة غير أن هناك شقوقًا وأخاديد ونوعًا من الخنادق القليلة الغور قد حفرت حول أساس كل مدفن.

وقيل - أن أول من فتح بعض تلك المدافن وباشر بالحفـر والنقيب فيها هو المنكب (اليوزباشى دورند) عـام (١٢٩٦ هـ - ١٨٨٩ م) ثم «بنت» ومعه قرينته وجعلا يحفـران وفتحا مدفنين سنة (١٣٠٦ هـ - ١٨٧٩ م). وفى سنة (١٣٢٢ هـ) زار جماعة من البلجيك البحرين وتفـقدوا القبور وفتحوا أحدها

ولم يبلغا نتائج أبحاثـهم. وقد حفر معتمد إنكلـيزى فى البحرين (بريدكس) بعض المدافن قربر (رفـاع الشيخ على) واشتغل فـيها عدة أسابيـع وفعل مثل ذلك قرب (المـنامة) وجمع قـسمـامهـما من الرفـات وبعض قطع من العظام البشرية وغـيرها من الآثار وبعث بالكل إلى (متحف) لندن، وأحـدثهم عهدًا بها (بالبحـرين) الإنكليز وقد سبقهم إليـها البرتقال فالعرب فـالفرس فالهنود فالرومان فاليونان فالفينيقيون فـالبابليون فالكلدانيون فأصحاب الرءوس السود الذين هم أول من مدر رواق الـتمدن والعـمران البشـرى على وجه البـسيطة وعليه فيكون تاريخ مسقط رأس العـالم الإنسانى. ولهذا تحسب مملكة الرومان والصين واليابان والهند من ممالك أمس بجانب هذا.

وكم من أمة وقـبيلة وشعب ودولـة زالت وانقرضت وأمست فى خـبر كان. وأمـا تلك المدافن فشاخصـة قائمة بعـزها ومجدها كمـا كانت منذ أول بنائهـا. وأن أنياب الدهور ومـخالب طوارئ الزمـان لم تقو علـى ملاشاتـها وأفنائهـا من على سطح الكرة الأرضـيـة وهى واقـفة على أركـانهـا وتلوها الضخمـة تسخر بمرور الأيام وكرور الأعوار فـسبحان من بيـده البقاء والخلود والفناء والوجود فى كل مكان وزمان.

تاريخ ارتقاء البحرين

سنة ١٣٣٤ هـ جلبت أول مطبعـة حجرية إلى البـحرين سنة ١٣٣٧ هـ أول من جلب الجوار لـ (مونـكار) هو سمو الشيخ عبـد الله بن المعظم الشيخ عيسى آل خليفة بعـد عودته من أوربا. وكان فى أثناء بقائه فى لندن قد ركب الطيارة وارتفـع بها إلى أن اكتـشف بها مطلوبه ثم عـاد فنزل. فصـعدها ابنه سمو الشيخ محمد وكذلك رقى بها إلى حيث شاء وحلق بها فى الجو ثم عاد

ونزل. فهما أول من ركب الطيارات من أهل جزيرة العرب وذلك عام ١٣٣٧هـ.

سنة ١٣٣٧ هـ وضعت آلة الرمزى (تلغراف اللاسلكى) فى جزيرة المنامة فى الموضع المسمى (الحورة) ثم بعد ذلك وضعت فى جنوب غرب (القضبية) أنصاب كهيأة حلقة. يقال أنها ستكون فى وسطها محطة للطيارات.

سنة ١٣٣٨ هـ تأسس فى البحرين المجلس البلدى تحت رئاسة سمو الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى آل خليفة وفى أواخر سنة ١٣٣٩ هـ آلت إلى أخيه سمو الشيخ حمد.

سنة ١٣٣٩ هـ أول من جلب القازوز «النمليت» إلى البحرين يوسف بن لطف على الخونجى بشرًا كته مع سمو ولى العهد الشيخ حمد وكذلك هما أول من أتيا بمعمل الثلج.

سنة ١٣٣٩ هـ أول من جلب الآلة المولدة للقوة الكهربائية إلى البحرين للضياء والهواء فقط هو يوسف كابو.

سنة ١٣٣٩ هـ نهض حكام البحرين واشرافها بيت العلوم والمعارف فبدأوا أولا بتأسيس المدارس العلمية وجمعوا لها من الإعانات نحو ثلاثمائة ألف روبية وشرعوا فى بناء مدرسة كلية فى غرة ربيع الأول من العام المذكور. واختاروا لها موضعًا خارج البلدة شمال المحرق على الساحل وأطلقوا عليها اسم (مدارس الهداية) وقد حضر عند وضع أساسها حكام البلدة وأعيانها. وأن أول حجر وضع فى أساسها هو بيد صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على آل خليفة. وانتخب رئيسها الأول الشيخ

عبد الله نجل الحاكم. وقد وصلتها فى محرم سنة (١٣٤٠) فرأيتها عجيبة البناء والموقع تشبه الثكنة العسكرية أو الاستحكام الحربى:

سنة ١٣٤٠ هـ وفى محرم عام (١٣٤٠) تأسست فى المنامة دائرة الشرطة. وفى نية البلدية إقامة جسر ممتد من المنامة من طرف الحورة إلى المحرق قرب حالة أبى ماهر.

الحالة السياسية

المساحة:

طول مساحة جزيرة المنامة شمالا وجنوبًا (٢٥) ميلا وعرضها (٩) أميال. وطول جزيرة المحرق (٥) أميال وعرضها (٢) وتدوير مساحة الجزيرتين نحو (٨٠) ميلا.

السكان:

يبلغ عدد سكان جزيرة البحرين عمومًا نحو (٣٠٠) ألف شخص:

أجناسهم:

غالب أهلها من العرب الأصليين وهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة النبوية رضى الله عنه: ومن كان منهم شافعيًا فأصله من فارس ومن كان منهم حنفيًا فأصله من الهند أو من بغداد. ومن كان منهم حنبليًا فأصله من نجد.

أهلها:

ولم يزل سكان البحرين بازدياد مستمر لموقعها التجارى وأرباحها الوافرة فقد سكنها أهل فارس والهنود المسلمون منهم والوثنيون. وأهل العراق

المسلمون والنصارى واليهود وأهل نجد والإحساء وعمان وأهل اليمن وحضرموت.

وقد قُدر زيادة سكانها بين سنتى (١٣و ١٣٢٣) بعشرين فى المائة وبين سنتى ٢٦ و ١٣٣٢ بخمسين فى المائة. سوى أن العلوم والمعارف بطيئة التقدم.

وكنت قد زرتها المرة الخامسة فى يوم الخميس (٢٠) محرم عام (١٣٤٠) ونزلت ضيفًا على فراش حاكمها صاحب الجلالة سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة فى المقيظ فأكرمنا غاية الإكرام. وأمر بإقامة لوازمنا على أكمل ما يرام. وأنعم علينا هو وسمو أنجاله الفخام بأوفر الإنعامات.

ولما ارتحلنا إلى البلدة استأذن سمو الشيخ محمد من والده صاحب العظمة بأن أكون فى ضيافته فأذن لى سمو الحاكم بالنزول على فراش نجله المذكور سمو الشيخ محمد. فأغمرنا بإنعاماته فوق ما يؤمل. وافرز لنا مجلسًا منظمًا مخصوصًا لنا تزورنا فيه العلماء والأصدقاء فى كل يوم. وفى يوم مبارحتنا للبحرين أمر لى الحاكم بمفرشة (زولية) فاخرة. وكسانى حلة ولى العهد سمو الشيخ حمد (عبادة قيلانية وعقالا قصبًا وشالا صوفًا) وكذلك كسانى أخوه سمو الشيخ محمد (من أنا على فراشه) عبادة عمانية وبرًا وعقالا قصبًا وشالا صوفًا حسب عادة الحكام وذلك غير النقود التى بذلوها لى عن طيب نفس.

العَلَمُ:

راية آل خليفة جميعها حمراء سوى أنهم يجعلون شريطًا أبيض مما يلى الحبل عند العمود فقط.

تقسيمات البحرين ونواحيها

كانت البحرين فى السابق تحتوى على (٣٦) بلدة وعلى (٣٣٢) قرية. ولكن لكثرة تداول الحكام عليها ووقوع الحروب بها وزوال الحضارة منها أزال عمرانها وخرب أكثر تلك المدن والقرى ولم يبق منها سوى ثمان مدن وبعض القرى التابعة لها (فالمدن هى) المحرق. والمنامة. والرفاع. وسترة وجد حفص. والبلاد القديم والبديع والحد.

(فأما المحرق) فهى جزيرة شرقى المنامة على مسافة نصف ساعة فى السفن الشراعية. وهى سكن الحكام الحاليين وأعيان العرب. وهى العاصمة. وكانت تسمى (رفيز) وهى مدينة قديمة قيل أن سبب تسميتها بالمحرق هو أن المجوس كانوا يحرقون أمواتهم فى ناحية منها لما كانوا مالكيها قبل الإسلام. وعدد نفوسها (٣٠) ألفًا.

وفى قصبة المحرق اليوم (٤٢) مسجدًا. وجامعان أحدهما قرب قصر الحاكم الحالى. أسسه الشيخ محمد بن جمعان. ثم هجر زمنًا طويلا. ولما تولى القضاء الشيخ شرف اليمانى طلب من الحكام تجديد بنائه وإعادته جامعًا كما كان فصدر الأمر من سمو الحاكم الشيخ عيسى آل خليفة بذلك وصليت فيه الجمعة من سنة (١٣١٠ هـ) ولم تزل إلى اليوم.

والجامع الثانى أسسه الشيخ عبد الله بن أحمد آل خليفة المتولى على البحرين سنة (١٢٣٦) وهذا الجامع واقع غربى قصر ولى العهد سمو الشيخ حمد بن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة:

وفى المحرق (مدرسة الهداية) المتقدم ذكرها وعدة مكاتب أهلية: وفى غربى المحرق دائرة للمكس البحرى تابع لمكس المنامة:

ويتبع المحرق خمس قريات:

القرية الأولى: حالة أبى ماهر:

والحالة فى اصطلاحهم كل قرية يحيط بها البحر كالجزيرة) وهى جنوب المحرق وكانت منفصلة عنها بترعة ثم فى سنة (١٣٣٠) دفنوا الترعة وأوصلوا الأسواق والبيوت بيهما. وفى جنوب الحالة (القلعة) التى بناها الشيخ عبد الله ابن أحمد كما سيأتى عند ذكر حكمه. وفى الجهة الشرقية الجنوبية عن القلعة ينبوع فى البحر يسمى (كوكب أبى ماهر) يعلوه البحر وقت المد بنحو ستة أذرع وشرب أهل الحالة وأهل المحرق منه بل غالب السفن تورده:

القرية الثانية: البسيتين:

وهى شمال المحرق على مسافة نصف ساعة للراجل. وبها (مسجد) بنيت فيه أخيراً منارة سنة (١٣٣٧ هـ).

وشرب أهلها من ينبوع فى البحر يسمى (الساية) وهى جهة الشمال الغربى عنها. وبين البسيتين والمحرق صحراء نقية يخرجون إليها كل سنة لصلاة العيدين بها تبعا للسنة (ويوجد) شمال هذا المصلى آثار قبور دائرة متجهة أصحابها نحو الشمال.

القرية الثالثة: الدير:

وهى شرقى البسيتين على مسافة نصف ساعة منه للراجل. وشرب أهله من ينبوع فى البحر. وعين فى البر تسمى (رية).

القرية الرابعة: سماهيج:

وهى شرقى الدير على مسافة ربع ساعة منه. وشرب أهلها من ينابيع فى البحر على الساحل وكانت سماهيج إحدى المدن العظام[١] وغربيها بستان يسمى (رية) باسم العين التى فيه وهو على الساحل. وقد أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى بن على آل خليفة سنة (١٣٣٠) ببناء قصر فيه مشرف على البحر جعله منتزهًا له يسير إليه فى كل يومين مرة واحدة حينما يكن مقيمًا فى العاصمة وهو يعد من منتزهات البحرين. وقد ذهبت إليه صحبة سمو الحاكم مع أنجاله فى ٣٠ محرم عام (١٣٤٠)

القرية الخامسة: قلالى:

وهى شرقى سماهيج على مسافة ثلث ساعة. وشربهم من ينبوع فى البحر يسمى (جرذى) .

---

(١) قال فيها أبو داود:

إذا أدبرت تقول قصور من سماهيج فوقها آطام

وقال فى القاموس سماهيج بالفتح اسم موضع بين عمان والبحرين فى البحر. وقال الأصمعى سماهيج جزيرة فى البحر تدعى بالفارسية (ماشى ماهى) فعربتها العرب وأنشد:

يا دار اسلمى بين دارات العوج جرت عليها كل ريح سيهورج

هوجاء جاءت من جبال يأجوج من عين يمين الخط أو سماهيج

ا هـ مؤلف.

المدينة الثانية

الحِدُّ:

بالكسر وهى قصبة واقعة جنوب قرية قلالى على مسافة نصف ساعة للراجل. ويصير الحد شرقى المحرم مائلا إلى الجنوب وعدد نفوسه نحو (١٢) ألفًا وهو سكنى قبيلة السادة العلويين. وبعض من (آل ابن على) ومن عشيرة (أبى فلاسه). وشرب أهله من عين فى البر تسمى (الزمة) ومن ينبوع فى البحر يسمى (أم السوالى) وهو جهة الشرق الجنوبى عن البلدة يغمره البحر وقت المد وينحسر عنه تمامًا وقت الجزر. وفى الحد (١٣) مسجدًا. وجامع كبير للجمعة. ويتبع الحد خمس قريات أيضًا:

الأولى: حالة السلطة:

وهى غربى الحد وبينهما جون من البحر والمسافة بينهما ثلث ساعة للخائض منه إليها وشربهم من عيون (عراد) الآتى ذكرها.

الثانية: حالة النعيم:

وهى حذاء حالة السلطة من جهة الغرب بينهما مسافة ثلاث دقائق. وشربهم من عيون عراد أيضًا.

الثالثة: عراد:

وهى غربى الحد إلى المحرق أقرب وبينهما جون من البحر, يمكن للدواب خوضه فى وقت الجزر للاستقاء من عيون عراد. وبها نخيل وآبار وعيون كثيرة. وبها القلعة التى بناها سعيد بن أحمد لما كان واليًا من قبل أخيه حاكم (مسقط) السيد سلطان بن أحمد كما سيأتى عنه ذكر إمارته.

٤ و ٥: أم الشجر الكبرى. وأم الشجر الصغرى:

وربما عبروا عن الصغرى (بالعِزل) وهما على مسافة ربع ساعة من الحد جهة الجنوب. وشرب أهلها من ينبوع (أم السوالى) المتقدم ذكره فتكون هاتان المدينتان مع قراهما جزيرة منفردة شرقى المنامة كما تقدم ربما عبروا عن مجموعهما (بالمحرق).

المدينة الثالثة

المنامة وهى واقعة على الطرف الشمالى الشرقى من الجزيرة وكانت تسمى (المنعمة) وقد اختلف فى سبب إطلاق اسم المنامة عليها. فمن قائل أنه تحريف المنعمة. حرفها الأعاجم الذين تسيطروا عليها. ومن قائل أنه كان فيها قصر أحد ملوكها السابقين فسميت به. وهى اليوم الميناء العمومية ومرسى البواخر وسكنى أكثر التجار. ومركز معتمدى الدول. وبها دائرة البريد والبريقى والمكس البحرى وعدد سكانها نحو (٤٠) ألف شخص. وهى جيدة البناء ذات أسواق رائجة. سوى أن أرضها سبخة. وهى رديئة الهواء. وشماليها ميناء صعبة المرسى. وشرقيها ميناء هى أسلم للسفن من عواصف الريح. والقرية المشرفة على الميناء الشرقية تسمى (الحورة). وكان فى سنة (١٣٣٠) صدر الأمر من عظمة الحاكم سمو الشيخ عيسى ابن آل خليفة ببناء مرفأ فى الميناء الشمالية ممتد إلى وسط البحر لتطابقه السفن المشحونة بسهولة. ولو كان البحر جازرًا. وكذلك صدر أمره ببناء مستودع للبضائع عند المرفأ المذكور محتو على (حوش) كبير ومخزن عظيم لحفظ الأموال الواردة. فبنى وهو فى غاية الإتقان والضبط. ولا يزال دفن البحر مستمرًا لتمديد المرفأ المذكور: وعدد المساجد فى المنامة (٢٢) مسجدًا وجامعان أحدهما جهة القبلة (غربى البلدة) وهو المسمى اليوم (مسجد الشيوخ) والآخر جهة الشرق ويسمى

مسجد آل فاضل. وقد جدد بناءه وزاد فيه من جهة الشمال زيادة مهمة (صاحب الخيرات الحاج عبد العزيز بن لطف على الخونجى) سنة (١٣٤٠ هـ) وله إمامان الشيخ على والشيخ عبد اللطيف ابنا محمد آل سعد. وفق الله المسلمين لتعمير مساجدهم ومدارسهم بالعلوم العالية والفنون الراقية كما عمروها بالعبادة وزيادة: آمين.

والمنامة فيها سكنى غالب الملل والأصناف. وفى ظهرها من جهة الجنوب قلعة تسمى (قلعة الديوان) قيل أن الذى بناها هو نادر شاه (كما سيأتى عند إمارة آل مذكور) وهى مقيظ صاحب العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة. وغربى هذه القلعة قصر عظيم ولى عهد سمو الشيخ حمد بن الشيخ عيسى سنة (١٣٢٢) للمقيظ. وشمالى هذا القصر وغربى القلعة. (مجلس) بناه سمو الشيخ خليفة بن سلمان حفيد الحاكم سنة (١٣٣٣) وأرخه يوسف ابن فلاح بقوله (خليفة نال العلى).

وفى شرقى جنوب القلعة المذكورة على مسافة نصف ساعة للراجل موضع على الساحل يسمى (القضيبية) بالتصغير. وبها المحجر الصحى الذى أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة (١٣٢٧هـ).

وجنوب القضيبية قرية تسمى (الجفير) بالتصفير وجرت عندها عدة وقعات كما سيأتى. وبها مسجد صغير.

ويسكنها اليوم صديقنا الشيخ سعد بن الشيخ عبد الله بن شملان وقد أدب لنا مأدبة رائقة فيها سنة (١٣٤٠).

وفى غربى المنامة قرية تسمى (السويفية) وعلى ساحلها الشمالى قصر أمر الحاكم سمو الشيخ عيسى ببنائه سنة وسكنه اليوم زمن القيظ نجله سمو الشيخ محمد بن الشيخ عيسى آل خليفة.

سمو الشيخ ابن ذى العظمة الشيخ عيسى بن على آل خليفة

المدينة الرابعة

الرفاع - وهو على مسافة ساعة ونصف للراكب من المنامة جهة الجنوب الشرقى. وهو سكنى الأمراء السابقين من آل خليفة وبه القلعة التى بناها الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة على أساس من قلعة (فرير بن رحال) وزير الشيخ الجبرى الآتى ذكرهما عند إمارة الشيخ الجبرى.

وشرب أهله من أربعة آبار. ثلاثة. منها جهة الجنوب فى الروضة وهى من حفر الأقدمين. والرابعة جهة الشمال وتسمى (الحنينية) المشهورة بالعذوبة, والآمر بحفرها الشيخ سلمان بن أحمد المذكور. وعمقها نحو ثمانية أبوع. وأوقف عليها نخلا لتعميرها ولإظهار الماء منها إلى بركة بحذائها. لتستقى منها النساء والفقراء.

وبين الرفاع والمنامة أرض واسعة الفضاء تسمى (المراقيب) وفيها المقبرة القديمة التى تقدم البحث عليها عند الآثار.

وغربى هذا الرفاع على مسافة نصف ساعة منه موضع يسمى (الرفاع القبلى) أسسه الشيخ على بن خليفة حاكم البحرين سابقا وبه البئر المسماة (أم غويفه) بالتصغير أم بحفره والد المذكور الشيخ خليفة بن سلمان وعمقه نحو (٢٤) باعًا وأوقف عليها نخلا لتعميره.

وغربى الرفاع القبلى على مسافة ربع ساعة موضع يسمى (رفاع الشيخ محمد) أسسه الشيخ أحمد الفاتح بن محمد بن خليفة ثم نزله حفيده الشيخ خليفة بن سلمان. وبنى به مسجدًا كانت تقام فيه الجمعة. وهو باق إلى اليوم. ثم نزله الشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين سابقًا. ثم فى سنة ( ) نزله سمو الشيخ محمد ابن صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن

على وجدد بعض أبنتيه وأسكن فيه بعض عائلته يرأسهم نجله سمو الشيخ راشد ابن الشيخ محمد. وفى سنة (١٣٤٠) أمر الشيخ راشد المذكور ببناء قصر له حذاء قصر والده. وأرخ بلفظ (جمع الجد والشرف الأثيل).

وهذه المواضع المتقدمة والتى ستجىء هى عبارة عن قرى صغار تسكن زمن الخريف.

وجنوب رفاع الشيخ محمد على مسافة ساعة للراكب موضع يسمى (الصخير) أسسه الشيخ محمد بن خليفة. ثم فى سنة (١٣١٨) نزله سمو الشيخ حمد بن ذى العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على وبنى به قصوراً جميلة ومجالس رحبة لإقراء الضيوف وجدد القصر الذى بناه أخوه المرحوم الشيخ راشد بن الشيخ عيسى. ورمم المسجد الذى هناك وعين له إمامًا راتبًا. وهذا الصخير واقع فوق ربوة نقية بين جبال وآكام متسعة جدًا. وعلى جانب الربوة من جهة الغرب إلى الجنوب رياض واسعة تجتمع فيها الأمطار والسيول فتنبت بها الأعشاب البرية. وتلك الرياض هى حمى لسمو الشيخ حمد ترعاها إبله وخيله وأنعامه. وفيه ثلاث عيون للشرب إحداها تسمى (أم حصاة) وماؤها أعذب مياه البحرين وألطفه لبعده عن السواحل ثم يليه فى الحلاوة عين (أم المومیان) والثالثة تسمى (الجنوبية).

وبين تلك الرياض ميدان للسباق على الخيل والتمرين على الكر والفر. (وحقيقة) فإن الصخير وما والاه يعد قطعة من (الطائف) لحسنه وللطافة هوائه وعذوبة مائه ونقاء أرضه وخضرة رياضه وظرافة منظره. ووصلته سنة (١٣٣٢) بطلب من صاحب العظمة سمو الحاكم الشيخ عيسى بن على واستقمنا به ثلاثة أيام صحبة الحاكم على فراش نجله ولى العهد سمو الشيخ

سمو الشيخ محمد ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة

سمو الشيخ راشد ابن المعظم

سمو الشيخ محمد ابن الشيخ عيسى آل خليفة.

حمد (ولم تخل) أرض الصخير من المعـادن لاسيما النفط والقير والجص عند قرب (جبل الدخان) الذى تقدم ذكره فى الحالة الطبيعية.

وعلى مسافة سـاعة من الصخير جهة الجنوب مـوضع يسمى (العمرو) بنى فيه ولى العهـد سمو الشيخ حمد مجـالس سنة (١٣٣٧) وكذلك بنى فيه أخوه سمو الشيخ عبد الله والشيخ سلمان بن الشيخ حمد وعلى مسافة ساعة من العمر وجهة الجنوب أيضًا موضع يسمـى (المطلة) فقد بنى فيه سمو الشيخ حمـد مجالس. وكـذلك سمو الشـيخ عبد الله أبـناء صاحب العظمة سـمو الشيخ عيـسى آل خليفة. وكذا بنى فـيه سمو الشـيخ سلمان بن حمد حـفيد الحاكم سمو الشيخ عيسى الجميع بنوا مجالسهم فى سمة (١٣٣٧ هـ)

* * *

سمو الشيخ حمد ابن ذى العظمة سمو الشيخ عيسى آل خليفة

المدينة الخامسة

ستـرة - وهى شبه جزيـرة شرقى الرفاع على مـسافة (٤٥) دقيـقة وإذا جزر البـحر اتصلت به بشـبه برزخ يعلوه ماء دقـيق سمك ذراع فـأقل. وبها عيون كثيرة أكبرها (عين الرحى)، ثم عين مهزة) ويتبعها من القرى:

(١) القربة.

(٢) مهزة.

(٣) سفالة.

(٤) مرقبان.

(٥) واديان.

(٦) الخارجية.

(٧) المعامير.

(٨) العكر.

(٩) الفارسية.

(١٠) الحالات.

وهذه المدينة مع قراها مملوءة بالنخـيل الباسقة والأشجـار المثمرة. وهى التى جرت بها الوقعات الشهيرة كما سيأتى:

المدينة السادسة

جد حفص - وهـى غرب المنامة على مسـافة نصف ساعة وبهـا عيون ونخيل كثير. وكانت هى إحدى المدن الكبار[١] وشمال جد حفص قصر على الساحل فى موضع يسمى (بوزيله) أمر ببنائه سـمو الشيخ عبد الله بن الشيخ عيسى آل خليفة سنة ( )هـ

المدينة السابعة

البلاد القديم - بالتذكير وهـى جنوب جد حفص على مسافة ( )، وبها عـيون كثـيرة أشهـرها (أبو زيدان. وجمـاله. وقصارى) وغـربى البلاد القديم قرية تسـمى (السهلة) فيها عين عـجيبة شهيرة بالكـبر تسمى (عذارى) عمقها خمسـة أنواع وهى تسقى أكثر من ثلاثة أميال من النخل ثم تصب فى البحـر منحدرة كأنهـا السيل الهائج. وقـد وصلتها وغصت فـيها إلى قـعرها وأبصرت منبعها فى الماء وهى أصفى عيون البحرين.

المدينة الثامنة

البديع بالتصـغير. وهى غربى المنامـة على مسافة ساعـتين وبها سكنى قبيلة الدواسـر ومن تبعهم فهذه هى المدن ومـا سواها فقرى صغـار. وأكبرها قرية (جـو) وهى على مسافـة نصف ساعة لـلراكب من الرفاع جهـة الشرق الجنوبى وهى مطلة على البحر.

وأول من نزلها من العرب الشيخ أحمـد بن رزق الشهير فى القرن (١٢

(١) حكى ابن الأعرابى قال جد بالضم اسم موضع قال وهو اسم ماء بالجزيرة أيضًا وأنشد:
فلوانها كانت لقاحى كثيرة لقد نهلت من ماء جد وعلت.

هـ) وعمرها وبنى بها مساجد وبركًا عظام لخزن الماء فى غاية القوة والإحكام. وقال صاحب (سبائك العسجد) سكن الشيخ أحمد بن رزق بلدة جو. وبنى بها قصورًا شامخة إلى الجو.

ثم ظعن عنها ونزل. الزبارة وبعد ظعنه بقيت بلدة جو خالية من العرب إلى أن استولى الخليفيون على البحرين سنة (١١٩٧) كما سيأتى. ثم لما احتل سعود بن عبد العزيز أمير نجد (الإحساء والقطيف) سنة (١٢١٢) جعل يتحفز على أخذ الزبارة فظعن الشيخ أحمد بن رزق منها إلى البصرة فى تلك السنة. ونقل الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الفاتح عائلته جميعها من الزبارة وأسكنهم بلدة جو. ثم لما فرطت البحرين من آل خليفة واسترجعوها سنة (١٢٢٥) ترك الشيخ سلمان (جوا) وسكن (الرفاع) وبنى به قلعة وجعله العاصمة كما سيأتى عند ذكر حكمه ثم بعد ذلك نزل (آل أبى رميح) بلدة جو. وهم باقون فيها إلى حال التاريخ.

* * *